في إطار الحوار الذي قررت جريدة "العصر" فتحه فيما يخص التطورات الخطيرة التي يعرفها المشهد الفني، استضفنا المخرج السينمائي الدكتور شفيق السحيمي وأجرينا معه الحوار التالي:

في حوار مع المخرج السنمائي الدكتور شفيق السحيمي:

أطالب بالسحب الفوري لمشروع قانون الفنان من وزارة الثقافة وإحالته على وزارة الاتصال

السيرة المهنية

❖ أطوار التكوين بالتعليم العالي

- ■ مدرسة اللوفر بباريس
- ■ المعهد الوطني العالي للفنون الدرامية بباريس
- ■ دكتوراه دولة في المسرح
- ■ مسجل من طرف اللجنة العلمية للمجلس الوطني للجامعات الفرنسية: مجموعة 17 (الفنون التشكيلية، فنون العرض المسرحي والسينمائي، الموسيقى، الجماليات، وعلوم الفن

❖ أستاذ جامعي في المسرح نظري تطبيقي، وله عدة أعمال مسرحية صادرة بالمغرب وكبريات المسارح بأوربا، وكذا عدة دراسات تتعلق بالمسرح والفن عموما.

أجرى الحوار عزيز بلجاح

■ اعترف نبيل عيوش لمجلة "جون أفريك انتلجون" Jeune afrique Intelligent أنه لم يلج السينما من بابها الأكاديمي، بل عبر ممارستها في أماكن تصوير الأفلام الإشهارية.

● اسمحوا لي أن أقر لكم بكل صدق أنه لم يسبق لي أن تعرفت عليه، وأرجو إذا أردتم أن تفاتحونني في شيء فليتعلق حوارنا بالفن وليس بالأشخاص.

■ فليكن ذلك، فما رأيكم في الغزو الأجنبي للمشهد السينمائي المغربي؟

● الحضور المكثف للمنتوج الإبداعي الأجنبي لا يخص الحقل السينمائي وحده بل يشمل أيضا التلفزة والأشرطة الغنائية والكتاب وحتى ثقافة اللباس.. ففضاء الاستهلاك الفني بفرنسا بجميع أنواع فنون العرض: سينما، تلفزة، أوبرا يطغى عليه كذلك المنتوج الأمريكي والإيطالي والياباني.. وهذا لا يقلل من القيمة الفنية والإبداعية للمنتوج الإبداعي الفرنسي، بل بالعكس فإنه يساهم في تلاقح الثقافات والفنون بهذا الفضاء، ويساهم في خلق ديناميكية داخل كل أشكال الفنون ويكسر الحواجز المفتعلة بين الفنانين وإبداعاتهم. كما يبرز في نفس الوقت التعددية في الإنتاج ولا يمكن أن ننعته بالغزو.

■ وما موقع المنتوج السينمائي المغربي في ظل المنافسة مع المنتوج الأجنبي على أرض الوطن؟

● فضاء الاستهلاك السينمائي المغربي لا يستضيف إلا الأسماء التي لها وزنها، وذات قيمة في البوكس أوفس (Box Office) ولهذا فلا مجال للحديث عن المنافسة بين إنتاجاتهم والمنتوج المحلي، فهناك عيار ومعيار.

■ ولكن هنا بنية تحتية سينمائية مغربية يلجأ إليها ما أسميتوه بالعيار الثقيل، فأين ذلك التلاقح والتفاعل؟

● البنية التحتية مشروع ناجح اقتصاديا، ولكنه لم يأت لسد حاجيات المبدعين المغاربة وهو مفتوح لكل من يهمه الأمر، ويتوفر على إمكانيات استعمالها. لكن الإنتاج المغربي لا يمكنه أن يستغل هذه البنية للأسباب التالية:

1. الإنتاج: الاستديوهات الموجودة بالمغرب تتعامل مع المخرج المغربي بنفس اللغة الاقتصادية التي تخاطب بها الأجانب الذين اختاروا الفضاء المغربي لإنجاز أعمالهم، فميزانية الإنتاج المتاحة للمخرج المغربي لا تمكنه من صناعة ديكور لمشهد واحد من فيلم أجنبي، وفي بعض الأحيان ميزانية إنتاج الفيلم المغربي لا تغطي حتى مصاريف الأكل والمبيت والنقل ناهيك عن أجور الممثلين ولوازم الفيلم من ديكور وملابس ومكياج وإنارة وكراء الكاميرا، مثل ذلك مثل التلفزيون فحلقة تلفزية من 52 دقيقة تتعدى قيمتها 3 ملايين في الجزائر، وتونس ولبنان، ومصر وسوريا دون ذكر دول الخليج، وفي أغلب الأحيان لا يتعدى عدد المشاركين في الحلقة عشرين ممثلا وممثلة، أما في المغرب فحلقة بنفس المدة وبأكثر من 70 ممثلا لا تتعدى قيمتها 60 ألف درهم دون ذكر أجر الممثل، وهذا موضوع آخر يخص وضع الممثل الذي لا يتعدى دخله السنوي 16 ألف درهم في المغرب.

2. الإبداع: في أغلب الأحيان نجد اللغة المستعملة في إنتاج بيضاوي لا تتعدى حدود خريبكة الجديدة الرباط، والإنتاج الطنجاوي لا يتعدى الحدود الجغرافية لمدن الشمال، وكذلك نفس الأمر لإنتاج الجنوب، إذن اللغة التي يمكن أن تساهم في ترويج منتوج خارج الحدود المغربية وتصل إلى الجزائر وليبيا ومصر... لم تستطع اختراق حتى حدود إقليم المنتوج، أضف إلى ذلك أن الإنتاج المغربي لا يخضع لنفس اللغة، وفي ذلك تكمن صعوبة ترويجه داخل الوطن وبالأحرى ترويجه خارج الحدود، من هنا تبقى المنافسة مجرد كلام فارغ.

■ هل يمكن الحديث عن كتابة سينماتوغرافية مغربية؟

● هناك مخرجين مغاربة تكونوا لهذا الغرض في بولونيا وفرنسا وألمانيا وبلجيكا ... أنتجوا أعمالا ساهم فيها بقدر كبير الفاعلون في الحقل المسرحي من ممثلين وكتاب وتقنيين في وقت كان المسرح المغربي ورجالاته يحسب لهم ألف حساب، أما واقع المسرح اليوم، فلم يعد يتيح هذا النوع من التلاقح بين المسرح والسينما، وإبراز أعمال وتجارب مثل التي أنجزها المرحوم محمد الركاب، مصطفى الدرقاوي، نور الدين الصايل، وعبد الرحمن التازي، ومومن السميحي، وجيلالي فرحاتي.

لقد أصبح ميدان الإبداع كان تلفزيا أو مسرحيا أو سينمائيا يطغى عليه نوع من التسيب، مما أصبح معه فضاؤنا الإعلامي فضاءا ملغوما.

■ هذا التسيب نتج عن غياب قانون يحدد من هو الفنان، أما الآن فهناك مشروع قانون تقدم به وزير الثقافة سيضع بلاشك حدا لهذا النوع من الممارسات؟

● في ما يخص ما أسميته بقانون الصحافة، فيمكن تسجيل الملاحظات التالية:

- لا يفرق هذا القانون بين الفنان المحترف والفنان الهاوي. كما قسم التعويض إلى نوعين: مادي وعيني، والعيني يراد به: إذا قام الفنان بعرض في أسفي فيمكن للجهة التي استدعته أن تقايضه بصندوق من السردين، وإذا كان في مكناس فإنه بإمكان المكناسي أن يؤدي أجر الفنان زيتا، أو زيتونا بحكم قانون الفنان، و يمنعنا أن نعلم الأطفال مهنة من المهن الفنية.

غير أن تفاهة هذا القانون هو اعتماده على قوانين زجرية وعقابية بدون ضمان الحق في التطبيب والتقاعد والتأمين، ولم يأت بمشروع فلسفي جمالي يحدد بشكل صريح ضوابط المهنة. وهذا دليل قاطع على أن الأشعري لا علاقة له بالفن والفنان، والثقافة والمثقفين.

شفيق السحيمي

■ ومن له علاقة بالفنان والفن؟

● بالنظر إلى طبيعة عملنا الفني وعلاقتنا بالإذاعة والتلفزة والسينما وهو الحقل الوحيد الذي يشتغل فيه الفنانون، فإننا مرتبطون ارتباطا عضويا مع وزارة الاتصال، وهي المؤهلة بحكم مسؤوليتها على هذا القطاع لسن قانون الفنان، ولذلك أطالب بالسحب الفوري لمشروع قانون الفنان من وزارة الثقافة وإحالته على وزارة الاتصال، ولا أظن أن نبيل بن عبد الله بحكم تكوينه سيسقط في أخطاء الأشعري برفض التعامل مع المبدعين والمثقفين.

■ ولكن وزير الثقافة مسؤول عن المسرح؟

● أقول، لا مسؤولية له على المسرح، لماذا؟

- أولا، لغياب البنية التحتية للمسرح والتي من شأنها استقبال العروض، والقاعات الموجودة فهي تحت سلطة الجماعات المحلية، بنيت بالأساس من أجل استقبال المحاضرين، واحتضان أنشطة الأحزاب السياسية، ولأنها لا تخضع في هندستها المعمارية لمعايير العرض المسرحي.

- ثانيا: قانون الفنان الذي تكلمنا عنه قبل قليل وضعه شخص بلجيكي لا يفقه شيئا في القانون ولا في الفن ولا في المسرح ولا في الأعراف، أسندت لهذا البلجيكي هذه المهمة في غياب تام للفاعلين المسرحيين المحترفين باستثناء ما يسمى بالنقابة الوطنية لمحترفي المسرح، وهي كما يعلم الجميع من كاتبها العام إلى جميع كتاب فروعها ينتمون إلى أسرة التعليم وفي نظري هذه النقابة تدافع عن القائمين بالأنشطة الموازية داخل المؤسسات التعليمية، ولحد الآن لم يقم الأشعري بأي لقاء مع المبدعين والمثقفين في هذا الوطن، ويمكن القول بأنه ساهم بشكل كبير في إيقاف عجلة الإنتاج الثقافي والإبداعي في هذا الوطن منذ استوزاره، وهو بذلك مكلف بشؤون الفرق التابعة للاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، والتي قامت بحملة انتخابية لصالحه، ويمكن لي أن أقول بأن هناك إجماع في وسط المثقفين على أن الأشعري عدو الثقافة والمثقفين، وأكبر شاهد على هذا نفور الكتاب ودور النشر من المعرض الأخير للكتاب بالدار البيضاء، إلا باعات الوقى والتمائم (الحجابات)، وكل من عرض تميمة فلا أتم الله عليه.

الأشعري لا علاقة له بالفن والفنانين والثقافة والمثقفين

■ يلاحظ في الآونة الأخيرة أن مجموعة من الأفلام، أصبحت تتجه نحو إبراز بعض مظاهر الإباحية والتركيز على توظيف المرأة الجسد على حساب جوانب فنية وتقنية أخرى مرتبطة بالصناعة السينمائية؟

● جسد المرأة والرجل هو الأداة الفنية للممثل مثله مثل الآلة عند الموسيقى، فلا عرض بدون جسد، إن قانون العرض يفترض أن شخصا يقبل أن يعرض شخصه (S'exhiber) وشخص آخر يقبل أن يشاهد هذا الجسم المعروض (Cette exhibition) وبالتالي يمكن الحديث عن عقد مبرم بين هذين الشخصين عارض ومتفرج على العرض.

■ إنكم تتحدثون في أمور نظرية أكاديمية، أتفق معك فيها لكنني أتحدث عن عرض جسد عار في السينما وبالمغرب؟

● الجسد العاري بالسينما في المغرب ليس بجديد علينا، فهناك شعوب في قارتنا وفي أمريكا اللاتينية تعيش في حضارة العراء.

■ إنني أتحدث معك عن إشاعة ثقافة الفحشاء في السينما المغربية؟

● ليكن في علمك أن سوق في البيضاء مشهور اسمه درب غلف تباع فيه أجهزة ببطائقها تمكن من متابعة أفلام بورنوغرافية ويتهافت عليها جمهور غفير.

■ ولكن أنتم تتحدثون عن تكنولوجيا أحدثت في بلدان أخرى، وأنا أتحدث معك في شأن إنتاج فني مغربي مدعم بأموال الشعب؟

● من تقصد بهذا؟

■ أقصد بكلامي فيلم "لحظة ظلام" لنبيل عيوش والذي أثار ضجة بمجلس النواب؟

● ومن أثار هذه الضجة؟

■ تقدم نائب ونائبة من فريق العدالة والتنمية بسؤال لوزير الاتصال يطالبون الحكومة بسحب هذا الشريط من الأسواق المغربية واسترداد الدعم الذي استفاد منه.

● إذن هناك مطالبة بتوقيف الشريط وحبس المخرج؟!

■ ولكن أية علاقة بين مطالب برلمانيين مارسوا حقهم الدستوري في مساءلة الحكومة والسجن؟

● العملية عملية حسابية فإذا ما تم توقيف

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية كريمة، فالرجو صيانتها عن كل امتهان